الملكة الإدارية في شخصية الرسول صلى اللّه عليه وسلم

عبد الحميد عبد القادر خروب

لا خلاف في عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم وبراعته الإبداعية في فن قيادة الرجال، وكمال حكمته في تصريف الأمور، وعظيم قدرته على إدارة الأعمال، ونجاحه الباهر في حل عويص المشكلات وتجاوز الصعوبات، وتعامله الأمثل مع اختلاف الناس في طبائعهم وميولهم، ومشاربهم وأمزجتهم.

وهذه الصفات الحميدة الفريدة، تدل على ماكان يتمتع به صلى الله عليه وسلم من ملكة إدارية متأصلة في شخصيته قبل النبوة وبعدها، وهي لا تعني الالتزام باللوائح والنظم والقرارات التي تهتم بتفاصيل الأعمال الإدارية فهذه الأمور من شأن المأمورين المنفذين، وإنما المقصود بالملكة الإدارية، التفكير الإداري الذي كان حاضرا دومًا في جميع أعماله صلى الله عليه وسلم، وهو ليس عملية عضلية، بل عملية عقلية تميزت بالإبداع والابتكار، ورسمت الخطوط العامة الأساسية للإدارة، وتركت تفاصيل العناوين لغيرها، وسعت لإيجاد مجتمع فاضل، منظم في دولته وشؤون إدارته، يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: "لا يعنينا مثلًا أن نتكلم عن الإدارة كأنها نصوص المنشورات واللوائح التي تدار بها الدواوين، وتجري عليها تفصيلات الحركة في مكاتب الحكومة، فإن هذه وما إليها هي أعمال منفذين مأمورين، وإنما نعني الملكة الإدارية من حيث هي أساس في التفكير من اعتمد عليه استطاع أن يقيم بناء الإدارة كلها على أسس قويمة، ثم يدع لغيره تفصيلات الأضابير والأوراق"(١).

وقد تولى النبي صلى الله عليه وسلم التجارة في مال السيدة خديجة رضي الله عنها، فأحسن إدارتها وربح لها ربحا كبيرا، كما أرضى رأيه جميع القبائل العربية المتنازعة في وضع الحجر الأسود، وقام بأعمال إيجابية كبيرة لصالح مجتمعه حتى صار مقصد جميع الناس لحفظ أماناتهم، وقضاء حوائجهم وتقديم يد العون لهم، وحين نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء، ورجع إلى أهله خائفا

١- عباس محمود العقاد، **عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ص٦٤.

وهو يقول: "زملوني زملوني"، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: "لقد خشيت على نفسي"، أشارت السيدة خديجة رضي الله عنها إلى المهارات التي اتصفت بها شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بقولها له: "كلا! والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"(٢).

وكان صلى الله عليه وسلم ذا فراسة شديدة في معرفة معادن الناس، وطبائع نفوسهم، وتمييز ملكات أصحابه، وتقدير مواهبهم، فيقول: "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينا، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح "(٣).

وجاءه مكرز بن حفص موفدا عن قريش يوم الحديبية، فلما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "هذا رجل غادر"، ثم أرسلوا الحليس بن علقمة فقال صلى الله عليه وسلم: "هذا من قوم يتألهون، فلما أقبل سهيل بن عمرو قال: "أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل"(٤).

وبهذا يتبيّن أن خدمة الآخرين والقدرة على قيادتهم، وبناء علاقات اجتماعية سليمة، وحسن استقبال الناس وإكرامهم، والتعامل الراقي مع الطبائع المختلفة، ومعرفة قدرات الرجال ومواهبهم وميولهم المختلفة وتوسيد الأمور إلى أهلها، من أهم المهارات التي تؤدي إلى نجاح الأعمال، والدلائل كثيرة على الملكة الإدارية في شخصيته صلى الله عليه وسلم ومنها:

٢- محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، دار السلام، الرياض، ط ٢، ١٩٩٩م، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، ص ١، رقم: ٣.

٣- محمد بن عيسى الترمذي، **الجامع**، دار السلام، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، ص ٨٦٠ ، رقم: ٣٧٩١، وقال: حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجة، **السنن**، المقدمة، فضائل خباب، ص ٢٣، رقم: ١٥٤، ورواه أحمد بن حنبل، **المسند**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مسند أنس بن مالك، ج ٣، ص ٢٨١، رقم: ١٤٠٢٢، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال الشيخ الألباني: صحيح. انظر: **السلسلة الصحيحة مختصرة**، مكتبة المعارف، الرياض، ج ٣، ص٢٢٣، رقم: ١٢٢٤.

٤- أحمد بن حسين البيهقي، **السنن الصغرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، باب ما جاء في مدة الهدنة، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، ج ٩، ص ٢٢١، رقم: ١٨٥٨٩، قال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: الشيخ محمد الغزالي، **فقه السيرة**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص ٣٢٦، ورواه الإمام أحمد، **المسند**، (مسند الكوفيين)، حديث مسور بن مخرمة، ج ٤، ص٣٢٣، رقم: ١٨٩٣٠، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط فقال: "إسناده حسن".

التخطيط الناجح

التخطيط من أهم سمات الشخصية الإدارية، وهو يعني ترتيب الأمور وتقديرها، وإيجاد الحلول والبدائل والوسائل المناسبة لتحقيق أهداف مستقبلية، وهذه الصفة لم تغب عن الرسول صلى الله عليه وسلم أبدا، فقد كان على الدوام يخطط بنجاح باهر، يرعاه الله تعالى في كل أموره.

لقد اختار الرسول صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم لتكون مقرا آمنا، يلتقي فيه بأتباعه، بعيدا عن أعين أعدائه، واتسم هذا الاختيار بالدقة المتناهية، حتى إن قريشا لم تستطع الوصول إلى هذا البيت، ولم تكشفه أبدا، لأن التخطيط في اختياره كان محكما، فالأرقم كان فتى صغيرا، لم يتجاوز سنه السادسة عشرة ولم يكن معروفا بإسلامه، وكان من قبيلة بني مخزوم التي تنافس بني هاشم، وتقف ضدهم، إضافة إلى ذلك أن دار الأرقم كانت قريبة من الصفا، أي: أنها مقابل دار الندوة، وكل هذه الأمور تبعد الشكوك عن الأرقم وعن داره(٥).

وفي بيعة العقبة الثانية طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من المبايعين أن يختاروا من بينهم اثني عشر نقيبا، تكون لهم الكلمة بين قومهم، ويكونون مسئولين أمام النبي صلى الله عليه وسلم مسئولية مباشرة، ولقد قام هؤلاء النقباء بتمهيد الطريق، وتهيئته لنجاح الدعوة الإسلامية في المدينة.

وفي الهجرة من مكة إلى المدينة، رتب كل الأمور، فكان صلى الله عليه وسلم هو القائد، وعلي الرجل الفدائي وأبو بكر المساعد ورفيق السفر، وكلف أسماء ذات النطاقين رضي الله عنها بالتموين، فكانت تأتيهم بالطعام، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر بالتعفية والتمويه على العدو، وعبد الله بن أريقط ـ وكان أعرف الناس بالصحراء ـ دليله في الطريق، وعبد الله راعي أبي بكر يمر عليهم بالأغنام، ليشربوا الحليب ويزودهم بأخبار العدو، وعين صلى الله عليه وسلم مكان الاختفاء في غار ثور، وكما حدد موعد الانطلاق بعد ثلاثة أيام وجعل خط السير الطريق الساحلي وهو طريق غير مألوف.

فهذه الترتيبات كلها تدل على ملكته الإدارية في التخطيط، والتي تمكن بها من بناء دولة بجميع أجهزتها في المدينة، كما أنه صلى الله عليه وسلم ربى أصحابه على التخطيط، لتفادي أسوأ الأحوال، فقد أبى أن يتصدق سعد بن أبي وقاص بجميع ماله، وقال له: "إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس في أيديهم"(٦).

٥- انظر: محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج ٣، ص ١٨٤.

٦- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، ص ٤٥٢، رقم: ٢٧٤٢.

فالرسول صلى الله عليه وسلم يلفت نظر سعد إلى المستقبل، ويأمره بالتخطيط له وأخذ الحيطة، وحين ترك أعرابي ناقته عند باب المسجد دون أن يعقلها، قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "اعقلها وتوكل"(٧)، وكان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الحزم واليقظة والفطنة، والاتعاظ مما سبق، وأخذ الحيطة والحذر، والاستفادة من الأخطاء السابقة، كي لا تتكرر معهم في المستقبل، فيقول: "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"(٨).

وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم، أهمية الاستعداد للمستقبل، فكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عما سيقع من الشر، فهذا الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في الجاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن(٩)، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدى، تعرف منهم وتنكر، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"(١٠).

٧- محمد بن حبان البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، كتاب الرقائق، باب الورع والتوكل، ج ٢، ص ٥١٠، رقم: ٧٣١، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط فقال: "حديث حسن".

٨- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد، ص ١٠٦٨، رقم: ٦١٣٣، ورواه مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الزهد والرقاق، باب: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، ص ١٢٩٥، رقم: ٧٤٩٨.

٩- دخن: بالمهملة ثم المعجمة المفتوحتين بعدها نون، وهو الحقد، وقيل: الدغل، وقيل: فساد في القلب، ومعنى الثلاثة متقارب، يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيرا خالصا، بل فيه كدر، وقيل: المراد بالدخن الدخان، ويشير بذلك إلى كدر الحال، وقيل: الدخن كل أمر مكروه وقال أبو عبيد: يفسر المراد بهذا الحديث الحديث الآخر لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه، وأصله أن يكون في لون الدابة كدورة، فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض، انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ١٣، ص ٣٦.

١٠- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ص ٦٠٥، رقم: ٣٦٠٦، وأخرجه مسلم في **الجامع الصحيح**، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ص٨٢٩ - ٨٣٠، رقم: ٤٧٨٤.

والتخطيط للمستقبل بمعناه الشامل، ليس نافلة يقوم بها بعض المسلمين، وإنما هو فريضة من فرائض الدين، يتعين على كل فرد القيام به، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾(١١).

والنظر إلى الغد، يستوجب التأمل والتفكر والتدبر والدراسة والإعداد والمراقبة لكل التصرفات والأعمال التي يقوم بها الإنسان، لتحقيق ما هو أنفع له، وأفضل في الدنيا والآخرة، دون الاستغناء عن الاستشارة التي تضيء له الطريق، والاستخارة التي تدرأ عنه الندم، وتضفي على قلبه مزيدا من الاطمئنان.

لقد أمرنا الله تعالى بالاستعداد للمستقبل، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾(١٢)، ففي هذه الآية الكريمة: "يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد، وتكثير العدد بالنفير في سبيله"(١٣).

وأخبر الله تعالى المسلمين ببعض الأحداث المستقبلية، ليتفادوا مفاجأة المكاره، ولا تضطرب صفوفهم، فقال عز من قائل: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾(١٤).

قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "فإن قلت: أي فائدة في الإخبار بقولهم قبل وقوعه؟ قلت: فائدته أن مفاجأة المكروه أشد، والعلم به قبل وقوعه أبعد من الاضطراب إذا وقع، لما يتقدمه من توطين النفس، وأن الجواب العتيد قبل الحاجة إليه أقطع للخصم وأرد لشغبه، وقبل الرمي يراش(١٥) السهم"(١٦).

١١- سورة الحشر، الآية: ١٨.

١٢- سورة النساء، الآية: ٧١.

١٣- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٣٥٧.

١٤- سورة البقرة، الآية: ١٤٢.

١٥- يراش السهم: أي: ركب عليه الريش، انظر: محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١، ج٦، ص ٣٠٨.

١٦- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١، ص٢٢٤.

ويبرز التخطيط الإداري بصورة جلية في قوله تعالى على لسان النبي يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾(١٧)، وهو صلى الله عليه وسلم من نزلت عليه هذه الآية وبلغها للناس، وهو أعلم بما فيها من توجيهات وإرشادات تدعو إلى التخطيط المستقبلي، لتتجنب الأمة الأزمات التي تفاجئها.

التنظيم المحكم

إن أبسط الأمور التي لايلتفت الناس إليها، ولايرون لها شأنا في حياتهم، تتحرك في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في دائرة منظمة، حيث إن ملكته الإدارية تأبى الفوضى، والارتجالية في أي عمل من الأعمال، وتجعل لكل الأمور مفاتيح التحكم فيها، فقد كان صلى الله عليه وسلم يوصي بضرورة تعيين مسؤول في كل تجمع إنساني، ولو كان قليلا عارضا فيقول: "إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"(١٨).

يقول الإمام ابن تيمية: "فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات، وأقصر الاجتماعات أن يولى أحدهم: كان هذا تنبيها على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك، ولهذا كانت الولاية لمن يتخذها دينا يتقرب به إلى الله ويفعل فيها الواجب بحسب الإمكان، من أفضل الأعمال الصالحة"(١٩).

وكان يحمل كل إنسان تبعات مسؤوليته في أي موقع كان، فيقول: "كلكم راع، ومسئول عن رعيته، فالإمام راع، ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع، وهو مسئول عن رعيته"(٢٠).

١٧- سورة يوسف، الآية: ٤٧- ٤٩.

١٨- سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، **السنن**، دار السلام، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون، ص ٣٧٧، رقم: ٢٦٠٨، قال الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م، ج ٨، ص ١٤٩، ورواه ابن حبان، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب الصلاة، باب فرض متابعة الإمام، ج ٥، ص ٥٠٤، رقم: ٢١٣٢، وقال شعيب الأنؤوط: "إسناده صحيح على شرط مسلم".

١٩- أحمد بن تيمية، **الحسبة (ضمن الفتاوى الكبرى)**، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط٣، ٢٠٠٥م، ج٢٨، ص ٦٥.

٢٠- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، ص ٤١٣، رقم: ٢٥٥٨.

ورعاية النبي صلى الله عليه وسلم لأهل بيته، وحسن إدارته لهم وعنايته بهم، كانت مثالا فريدا متميزا، لم تر البشرية في تاريخها أكمل ولا أتم منه[٢١]، والتوفيق في إدارة البيت، لايتأتى لأي أحد، بل يحتاج إلى من يستشعر مسؤوليته، ويجيد التحكم في ميزانيته، ويقدم الخدمات الضرورية لحياته، ويحسن التعامل مع أهله ويحل مشكلاتهم ويلبي حاجياتهم، ويغمرهم بعطفه وحنانه، فيكسب محبتهم وطاعتهم.

وأمر صلى الله عليه وسلم بالانضباط في الأمور كلها، والسمع والطاعة في المعروف فقال صلى الله عليه وسلم: "السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[٢٢]، وعن عبادة بن الصامت قال: "دعانا النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان"[٢٣].

وكان صلى الله عليه وسلم محافظا على النظام، حريصا على استتباب الأمن، فلم يعط أحدا من الناس الحق في فرض الطاعة على الناس، وإقامة الحدود، بل جعل ذلك من مهام ولاة الأمر فقط، ولما قامت قبيلة خزاعة يوم الفتح بأخذ ثأرها من رجل من هذيل، غضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقام في الناس خطيبا ثم قال: "...فمن قال لكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل بها؟ فقولوا إن الله عزّ وجل قد أحلها لرسوله، ولم يحللها لكم يا معشر خزاعة، وارفعوا أيديكم عن القتل، فقد كثر أن يقع، لئن قتلتم قتيلا لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين، إن شاؤوا فدم قاتله، وإن شاؤوا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الذي قتلته خزاعة"[٢٤].

٢١- انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، ص ١٠٥٥، رقم: ٦٠٣٩، ومسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال، ص ١٠٢٣، رقم: ٦٠٢٦.

٢٢- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة، ص ٤٨٩، رقم: ٢٩٥٥.

٢٣- المصدر السابق، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سترون بعدي أمورا تنكرونها..."، ص١٢١٧، رقم: ٧٠٥٥.

٢٤- الإمام أحمد بن حنبل، **المسند** (مسند المدنيين) حديث أبي شريح الخزاعي، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج ٤، ص ٣٢، رقم: ١٦٤٢٤، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط فقال: حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل ابن إسحاق: وهو محمد وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن الرسائل الرسمية لا تقبل إلا إذا كانت مختومة، اتخذ خاتما، ثم أمر ألا ينقش على نقشه أحد، حتى تحفظ رسائله الرسمية من التغيير والتزوير، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة، ونقش فيه محمد رسول الله وقال: "إني اتخذت خاتما من ورق، ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه"(٢٥).

ونظم صلى الله عليه وسلم الطرق، وجعل عرض الطريق سبعة أذرع عند التنازع، فعن أبي هريرة قال: قضى النبي صلى الله عليه وسلم إذا تشاجروا في الطريق الميتاء بسبعة أذرع"(٢٦)، وفي رواية مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا اختلفتم في الطريق جعل عرضه سبع أذرع"(٢٧)، وهذا يعني أن يجعل قدر الطريق المشتركة، سبعة أذرع، حتى تسمح بمرور الأحمال والأثقال، ووسائل الركوب، وتسع ما يطرح عند الأبواب، ولا يتضرر المارة.

وفي السنة الأولى من الهجرة، أمرالنبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان مع بعض الصحابة رضوان الله عليهم بإجراء عملية إحصائية دقيقة لعدد المسلمين، فعن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل، فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمسمائة ..."(٢٨).

واستخدامه صلى الله عليه وسلم لأسلوب الإحصاء، يدل على مدى ما يتمتع به من تفكير إداري، وتنظيم عملي محكم، واهتمام بجمع المعلومات الدقيقة، وحرص على معرفة الواقع الحقيقي للأمور، لكشف ميزان القوى بين المسلمين وأعدائهم، واتخاذ القرارات السليمة، التي تساعد في إدارة شؤون الدولة الإسلامية الحديثة، وتطويرها.

إن هذه الهيكلة التنظيمية المحكمة، التي حرص النبي صلى الله عليه وسلم على عدم انفراط عقدها، تقوم برعاية مصالح الناس، واستبعاد الفوضى في التفكير، والعشوائية في التسيير، وتحمي الناس من التنازع والتفرق والضعف والتأخر، وتقودهم إلى طريق النجاح والتقدم.

٢٥- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب اللباس، باب قول النبي: لا ينقش على نقش خاتمه، ص ١٠٣٤، رقم: ٥٨٧٧.

٢٦- المصدر السابق، كتاب المظالم، باب: إذا اختلفوا في الطريق الميتاء وهي الرحبة تكون بين الطريق ثم يريد أهلها البنيان فترك منها الطريق سبعة أذرع، ص ٤٠٠، رقم: ٣٧٣.

٢٧- مسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح**، دار السلام، الرياض، ط٢، ٢٠٠٠م، كتاب المساقاة، باب قدر الطريق إذا اختلفوا فيه، ص ٧٠٤، رقم: ٤١٣٩.

٢٨- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام للناس، ص ٥٠٦، رقم: ١٨١.

التوجيه الصحيح

يتضمن التوجيه الصحيح: الإرشاد، والترغيب، وتنسيق الجهود، وكافة الأنشطة التي تؤهل الفرد للقيام بالأعمال على أحسن وجه، وتحقيق النجاح في النفس وفي الغير، وكان صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه إلى محاسبة أنفسهم فيقول: "الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله"(٢٩)، ويوجههم إلى الجودة في الأعمال، والإتيان بها على أفضل صورة، وطلب الكمال في أدائها فيقول: "إن الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "(٣٠).

ويرشدهم إلى العمل وطلب الرزق الحلال، فيقول: "ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"(٣١)، وينهاهم عن امتهان النفس بالمسألة فيقول: "لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير من أن يسأل أحدا، فيعطيه أو يمنعه"(٣٢).

ويوجههم إلى المحافظة على العلاقة الأسرية، وإن اختلف الدين، فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: "نعم، صلي أمك"(٣٣).

ويوجههم إلى التدين الصحيح، وترك الغلو فيه، فعن أنس بن مالك قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء

٢٩- الترمذي، **الجامع**، كتاب صفة القيامة والرقائق، باب: الكيس من دان نفسه، ص ٥٦٠، رقم: ٢٤٥٩، وقال هذا حديث حسن، قال ومعنى قوله من دان نفسه: يقول حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة، وأخرجه الإمام أحمد، **المسند** (مسند الشاميين)، حديث شداد بن أوس رض الله عنه، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج ٤، ص١٢٤، رقم: ١٧١٦٤، تعليق: شعيب الأرناؤوط، إسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم، وباقي رجال الإسناد ثقات.

٣٠- البيهقي، **شعب الإيمان**، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م، ج ٧، ص ٢٣٢، رقم ٤٩٢٩، قال الشيخ الألباني: "حسن"، انظر: الألباني، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي، ص ٢٧٧، رقم: ٢٧٦١.

٣١- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ص ٣٣٢، رقم: ٢٠٧٢.

٣٢- المصدر السابق، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ص ٣٣٣، رقم: ٢٠٧٤.

٣٣- المصدر السابق، كتاب الهبة وفضلها، باب الهدية للمشركين، ص ٤٢٣- ٤٢٤، رقم: ٢٦٢٠.

فلا أتزوج أبدا، فجاء إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(٣٤).

تفويض السلطة

إن العمل بمبدأ تفويض السلطة وتخفيف المركزية حسب متطلبات حسن الإدارة يجعل المؤسسات قوية، حيث يمكنها من مواكبة المستجدات والتكيف مع المتغيرات، واستيعاب المشكلات، والتغلب على الأزمات، ومنع التسلط والاستبداد، وإعداد البدائل القادرة على تولي القيادة في أي مرحلة من المراحل المستقبلية، ولا يعني التفويض تخلي المفوض عن مسؤوليته، أو هروبه من التكاليف الثقيلة، وإنما يفوض طريقة العمل، ويبقى مسؤولا عن نتائج إدارته.

قال الماوردي رحمه الله: "فأما وزارة التفويض، فهو أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة، قال الله تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾(٣٥).

فإذا جاز ذلك في النبوة، كان في الإمامة أجوز، ولأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها، ليستظهر به على نفسه، وبها يكون أبعد من الزلل، وأمنع من الخلل"(٣٦).

وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم بمبدأ تفويض السلطة، لعلمه بأهميته في سلامة إدارة الدولة، وتسيير شؤونها وأوكل لمعاونيه بعض مهامه، ومنحهم المشاركة في التسيير، وحرية اتخاذ القرارات، وإصدار الأوامر في واجبات معينة لإنجاز مهام محددة، فيشعرون بثقته فيهم، فتنشط نفوسهم، وتتقوى عزائمهم، وتتعزز فيهم روح المسؤولية، وتبرز مواهبهم المتعددة، وتتحقق المرونة اللازمة، وتنمو فيهم روح المبادرة، والتعاون الجماعي، وسرعة إنجاز الأعمال الإدارية، ويتدربون واقعيا على التأهيل لمناصب أرقى وأعلى، ويكونون صفا ثانيا من الأكفاء، لحماية الإدارة من أزمة مناصب القيادات الشاغرة، التي

٣٤- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ص ٩٠٦، رقم: ٥٠٦٣.

٣٥- سورة طه، الآية: ٢٩ - ٣٢

٣٦- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩م، ص ٣٠.

تؤدي إلى تعثر المؤسسات والتآكل الذاتي، وهو صلى الله عليه وسلم بهذا الأسلوب يعدهم للمشكلات المستقبلية، ويجعل منهم محطات تتزود منها الإدارة بالوقود اللازم لبقائها حية مستمرة، متكيفة مع الظروف الطارئة، وهو مبدأ في غاية الأهمية تفيض به ملكته الإدارية، وينبغي على كل إدارة تسعى للنجاح، أن تعض عليه بالنواجذ.

ولا يعني هذا أنه صلى الله عليه وسلم غير قادر على أن يمارس ذلك بنفسه، بل إنه إذا قام بأي عمل، سيؤديه على أكمل وجه، ولكنه سينشغل بالتفاصيل التي يستطيع أن يقوم بها غيره، وتزيد من أعبائه، وتلهيه عن المسائل الكبرى والمهمات العظيمة، والوظائف الأساسية، وتصرفه عن توفير الجهد للإبداع والابتكار.

وقد فوض النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة بالحكم في بني قريظة، ورضي بقضائه وأمضاه فيهم، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعد يوم الخندق، رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة، رماه في الأكحل(٣٧)، فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد، ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وضعت السلاح، والله ما وضعته، اخرج إليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأين؟ فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد، قال فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم"(٣٨)، فقال صلى الله عليه وسلم: "قضيت بحكم الله، وربما قال بحكم الملك"(٣٩).

وفوض صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب في مراقبة أسواق المدينة المنورة، لضمان سلامة المعاملات من بيع وشراء، وكل ما يتعلق بأمور التجارة، وتوفير الجو المناسب لكل فرد، وحمايته من التعرض للغش والتدليس(٤٠)، وفوض سوق مكة بعد فتحها لسعد بن سعيد بن العاص(٤١). وعمل

٣٧- الأكحل: عرق في وسط اليد يكثر فصده، انظر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١، ١٩٧٢م، ج ٨، ص ٢٧٢.

٣٨- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المغازي، باب: مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، ص ٦٩٨، رقم: ٤١٢٢.

٣٩- المصدر السابق، ص ٦٩٨، رقم: ٤١٢١.

٤٠- انظر: محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، ج ٥، ص ٦٠.

٤١- علي بن برهان الدين الحلبي، **السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون**، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ، ج ٣، ص٤٢٤.

أصحابه بهذا المبدأ من بعده، ففوض الخليفة عمر بن الخطاب، عبد الله بن عتبة بن مسعود على سوق المدينة(٤٢)، وفوض الخليفة علي بن أبي طالب شريحا القضاء بين يديه(٤٣).

وكان صلى الله عليه وسلم كلما خرج في غزوة من الغزوات، استخلف على المدينة صحابيا لحراسة أهلها، وإدارة شؤون الدولة، فقد استخلف أبا لبابة بن عبد منذر على المدينة في غزوة بدر الكبرى، وغزوة السويق وبني قينقاع، واستخلف ابن أم مكتوم في غزوة أحد، وحمراء الأسد، وبحران، وبني النضير، والأحزاب وبني قريظة، واستخلف أبارهم كلتوم بن حصين الغفاري في غزوة فتح مكة، وغزوة حنين، والطائف وعلي بن أبي طالب في غزوة تبوك، ويوم فتح مكة جعل حكمها إلى عتاب بن أسيد، وفرض له مرتبا على عمله(٤٤).

ومن أبرز مظاهر تفويض السلطة، إرساله صلى الله عليه وسلم للصحابة رضوان الله عليهم إلى القبائل، لتفقيههم في أمور الدين(٤٥)، وأخذ الصدقات منهم(٤٦).

الالتزام بالشورى

الشورى فريضة إسلامية، وأساس نظام الحكم الرشيد، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾(٤٧)، وأثنى على المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٤٨).

٤٢- انظر: الإمام مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ج ٢، ص ٤٠٠، رقم: ٩٧٧.

٤٣- عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، **السنن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، كتاب الطهارة، باب في أقل الطهر، ج ١، ص ٢٣٣، رقم: ٨٥٥، قال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح".

٤٤- انظر: محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٢، ص ١٠٤- ١١٠.

٤٥- انظر: مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد، ص ٨٥١، رقم: ٤٩١٧.

٤٦- انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الهبة، باب: من لم يقبل الهدية لعلة، ص ٤٢٠، رقم: ٢٥٩٧، وأيضًا في كتاب المغازي، باب: بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ص ٧٣٦، رقم: ٤٣٤٧، وانظر: عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، ج ٥، ص٢٨٠.

٤٧- سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

٤٨- سورة الشورى، الآية: ٣٨.

وهي تعني ألا يستبد الإنسان برأيه في الأمور التي تحتاج إلى المداولة والدراسة ومشاركة أهل الخبرة والرأي للوصول إلى أنسب الآراء وأقربها إلى الصواب والذي يجعل الشورى من مكونات شخصيته يكون ناضج العقل واسع الخبرة ناجحا في أعماله محبوبا عند غيره.

والشورى عنوان سورة من سور القرآن الكريم، وهذا يدل على أهميتها الكبيرة، ومكانتها العظيمة في الإسلام، ولتكون عنصرا أساسيا في بناء شخصية المسلم، ويقيم عليها منهج حياته.

والشورى تؤدي إلى الاستفادة من ثمرات العقول، وأصحاب المواهب والخبرة والرأي، وتقليب الآراء، وحسن التخطيط، والتدبير والتصرف وترشيد القرارات، وتجميع الجهود، وتأليف القلوب، وتقوية الصفوف، والنجاح في إيجاد الحلول للقضايا الشائكة، وحماية الفرد والدولة والأمة، من العقم السياسي والقرارات الخاطئة، والتسلط، والاستبداد الذي يدخل العباد والبلاد في مخاطر التمرد، والانقسام، والتشرذم وإثارة الفتن، يقول عبد الرحمن الكواكبي: "الاستبداد لو كان رجلا، وأراد أن يحتسب وينتسب لقال: "أنا الشر، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة، وعمي الضر، وخالي الذل، وابني الفقر وبنتي البطالة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب..."(٤٩).

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مقام النبوة ملتزما بمبدأ الشورى في السلم والحرب، كثير المشاورة لأصحابه، قال أبو هريرة: "ما رأيت أحدا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٥٠)، وعلم المسلمين تطبيقاتها المختلفة في مواقف كثيرة جدا، ومنها:

مشاورة عامة:

١- طلب الرسول صلى الله عليه وسلم المشورة من أصحابه عندما أراد الخروج إلى غزوة بدر، فقال له المقداد بن عمرو: امض بنا يا رسول الله لما أمرك الله، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن امض ونحن معك، فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٥١).

وروى مسلم بسنده عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال فتكلم أبوبكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر، فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيانا تريد

٤٩- عبد الرحمن الكواكبي، **مصارع الاستبداد ومطامع الاستعباد**، دار النفائس، ط٣، ٢٠٠٦م، ص ٨٩.

٥٠- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، كتاب السير، باب الموادعة والمهادنة، ج ١١، ص ٢١٦.

٥١- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب التفسير، باب: فاذهب أنت وربك فقاتلا، ص ٧٨٨، رقم: ٤٦٠٩.

يا سول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها[٥٢] البحر، لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد[٥٣]، لفعلنا"[٥٤].

٢- شاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في غزوة أحد، وكان رأيه البقاء في المدينة، والدفاع عنها، إلا أن أغلبية المسلمين والذين فاتهم القتال يوم بدر، كانوا مع الخروج إلى أحد لمواجهة المشركين، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على رأي الأغلبية، وخرجوا إلى أحد[٥٥].

٣- طلب النبي صلى الله عليه وسلم المشورة من أصحابه حين خرج للعمرة، وأخبرته العيون بأن قريشا جمعت له الجموع ليمنعوه ويقاتلوه، ويصدوه عن البيت الحرام، فقال: "أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين، وإلا تركناهم محروبين، قال أبوبكر: يا رسول الله، خرجت عامدا لهذا البيت، لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال امضوا على اسم الله"[٥٦].

مشاورة ذوي الخبرة والاختصاص

شاور النبي صلى الله عليه وسلم أبابكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في أسرى بدر، لأنهما من قريش فأشار عليه أبوبكر بالمن مع الفدية، وأشار عمر بن الخطاب بقتلهم، فأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر.

٥٢- أن نخيضها يعني الخيل، انظر: يحيى بن شرف بن مري النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٩٢هـ ج ١٢، ص ١٢٤.

٥٣- موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل، انظر: المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٢٥.

٥٤- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، ص ٧٩٢، رقم: ٤٦٢١.

٥٥- انظر: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، **السنن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، كتاب الرؤيا، باب في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم، ج٢، ص ١٧٣، قال حسين سليم أسد: "إسناده صحيح على شرط مسلم". وأخرجه البخاري تعليقا في **الجامع الصحيح**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، ص ١٢٦٧، ووصله ابن حجر العسقلاني في **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ ج ٥، ص ٣٣٢، وقال: "إسناده صحيح"، وأخرجه الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ ج ٦، ص ١٥٢، وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

٥٦- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المغازي، باب: غزوة الحديبية، ص ٧٠٩، رقم: ٤١٧٨.

وفي غزوة الأحزاب، شاورصلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة رضي الله عنهما وهما سيدا الأنصار في مصالحة غطفان على شيء من ثمار المدينة، ليتركوا مساندة الأحزاب، فأشاروا عليه بعدم إعطائهم شيئا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمشورتهم(٥٧).

مشاورة خاصة

شاور النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما في حادثة الإفك، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ...ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث(٥٨) الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذى يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: يا بريرة، هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمرا أغمصه(٥٩) عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الداجن(٦٠) فتأكله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي"(٦١).

وأخذ صلى الله عليه وسلم بمشورة زوجه أم سلمة رضي الله عنها، بعد عقد الصلح في الحديبية، حيث تضايق المسلمون من الشروط التي فرضت عليهم، وعاشوا حالة من الحزن الشديد، أدى بهم إلى

٥٧- انظر: سليمان بن أحمد الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م، ج ٦، ص ٢٨، قال الهيثمي: ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات، انظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٦، ص ١٩١.

٥٨- استلبث الوحي: أي أبطأ نزوله، انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ١، ص ١٨٢.

٥٩- أعيبه، انظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ، ج ٢، ص ١٤١.

٦٠- هي الشاة لا تبرح من البيت، انظر ابن الجوزي، **غريب الحديث**، ج ١، ص ٣٢٥.

٦١- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا، ص٤٣١-٤٣٢، رقم: ٢٦٦١.

عدم امتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بإقامة نسكهم، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على زوجه أم سلمة فقال لها: "هلك الناس، أمرتهم فلم يمتثلوا"، فأشارت عليه المرأة العاقلة، بأن يخرج فيحلق رأسه أمامهم وينحر، فإنهم إن رأوه فعل ذلك فإنهم يقتدون به، فرأى أنها قد أشارت برأي سديد، فأخذ به وكان كما قالت(٦٢).

وهذه النصوص تدل وجوب العمل بمبدأ الشورى، وتبين أن كبار الصحابة من السابقين، وزعماء الأنصار رضوان الله عليهم كانوا في مجلس شورى النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الشورى تمتد إلى جميع الناس في القضايا العامة، قال الإمام أبو زهرة: "وإذا كان قول الحق واجبا لتتم الشورى، وإن ذلك واجب على الآحاد، فإنه يجب على أولياء أمور المسلمين ثلاثة أمور:

١- أن يعرضوا الموضوعات العامة لأخذ الرأي فيها، ويستحثوا ذوي الفكر أن يبدوا آراءهم، وإن سكتوا دعوهم للقول، وحرضوهم عليه، ووضعوا بين أيديهم المعلومات التي تمكنهم من أن يبدوا آراءهم على بينة ونور من الحق.

٢- أن يشجعوا القول المخالف، كما يريدون القول الموافق، فإنه لايقتل الشورى إلا الرغبة في الموافقة، إذا لم يكن عماد الأمر الهوى المتبع، فإنه لا يقتل الشورى والآراء القويمة إلا الرغبة في الموافقة، والتململ من المخالفة، فإن المخالف يأتي الحاكم بجديد من الفكر، ويكون مرشدا، والموافق يأتيه بما عنده، وما ليس بجديد عليه.

٣- أن يختاروا بطانة صالحة"(٦٣).

إن تغييب الشورى من حياة الفرد والدولة والأمة إثم كبير، وأمر في غاية الخطورة، لأن تفرد المسؤول بالقرار، واغتراره برأيه، وتعصبه له، وعدم اهتمامه بالمشاركة الجماعية في الرأي، يؤدي إلى الارتجالية والاستبداد، وقتل روح المبادرة عند العاملين، والجمود على القديم، وعدم الابتكار والإبداع وكم من قرارات متعجلة لم تأخذ حظها من الدراسة والشورى، كانت سببا في التنازع والخصام، وتسلط الأعداء على الأمة، لذا ينبغي الحرص الشديد على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، والعمل بالشورى، واتخاذ كافة الإجراءات التي تضمن الالتزام بها، ومن يأبى العمل بها فعزله واجب، قال الإمام القرطبي

٦٢- انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة، ص ٤٤٩، رقم: ٢٧٣١.

٦٣- انظر: محمود محمد بابللي، **الشورى في الإسلام تناصح وتعاون**، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٢٧- ٢٨، نقلًا عن مصطفى الطحان، **الشورى ودورها في إصلاح الفرد والمجتمع**، اتحاد المنظمات الطلابي، الكويت، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٦.

نقلا عن ابن عطية: "والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه"(٦٤).

القرارات السليمة والحاسمة

تصدر القرارات السليمة والحاسمة عن رباطة الجأش ورجاحة العقل، ويتوقف نجاحها على التقدير الصحيح، وعدم التردد، وجمع المعلومات التفصيلية المتعلقة بالموضوع وتحليلها، واختيار الوقت المناسب مع السرعة في التنفيذ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها يتصف برباطة الجأش، ورجاحة العقل، مما جعل القبائل العربية تحكمه حين تنازعت فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود في مكانه، حتى أوشكت أن تتقاتل فيما بينها، فقضى بينهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ورضوا جميعا بحكمه، وهو لايزال شابا يافعا.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم القدوة في العمل بمبدأ الحسم في الأمور، ولا يتردد أبدا في اتخاذ أي قرار يراه حاسما، كما حدث في غزوة أحد، حيث أشار على المسلمين بالبقاء في المدينة، إلا أن معظم المسلمين فضلوا الخروج لقتال العدو، فوافق النبي صلى الله عليه وسلم على رأيهم، ولما رأوه غير منشرح لاختيارهم، "قالت الأنصار بعضها لبعض رددنا على النبي صلى الله عليه وسلم رأيه، فجاؤوا فقالوا: يا رسول الله، شأنك"، لكنه صلى الله عليه وسلم حسم الأمر قائلا لهم: الآن، إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته(٦٥)، أن يضعها حتى يقاتل"(٦٦).

٦٤- محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية، ٢٠٠٣م، ج ٤، ص ٢٤٩.

٦٥- لأمته: هي الدرع سميت لالتئامها، وجمعها لأم ولؤم، واستلأم الرجل: لبسها، انظر: محمود بن عمر الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط٢، ج ٣، ص٢٩٣.

٦٦- عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، **السنن**، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، كتاب الرؤيا، باب في القمص والبئر واللبن والعسل والسمن والتمر وغير ذلك في النوم، ج ٢، ص ١٧٣، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه البخاري تعليقا في **الجامع الصحيح**، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، ص ١٢٦٧، ووصله ابن حجر العسقلاني في **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ، ج ٥، ص ٣٣٢، وقال: "إسناده صحيح"، وأخرجه الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٦، ص ١٥٢، وقال: رواه أحمد، "ورجاله رجال الصحيح".

وحين سار الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فتح مكة، أمر عمه العباس بن عبد المطلب، أن يحبس أباسفيان قبل إسلامه في واد ضيق، حتى يرى القبائل التي تمر أمامه، كيف تجمعت تحت راية التوحيد، فيوقن بنصر الإسلام، وكان أبوسفيان يقول عند مرور كل قبيلة: "مالي ولبني فلان" حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم سعد بن عبادة، معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فقال أبوسفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار، ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وراية النبي صلى الله عليه وسلم مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال: كذا وكذا، فقال كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة".

وحسم النبي صلى الله عليه وسلم الموقف، بقرار عزل سعد بن عبادة من قيادة قبيلته، وسحب منه الراية، وأمر مناديه أن ينادي في الجيش للبحث عن قيس بن سعد بن عبادة، وسلمه الراية، وهكذا نزعت الراية من سعد وذهبت إلى ابنه، وهذا بلا شك سيرضيه، بل سيفرحه كثيرا، وبذلك راعى النبي صلى الله عليه وسلم نفسية سعد وعالج الموقف من جميع جهاته.

وطاف الرسول صلى الله عليه وسلم حول الكعبة يوم عمرة القضاء وحولها ٣٦٠ صنما ما حطم واحدا منها، لكنه لما دخلها فاتحا بعد أقل من عامين، أخذ محجنه يطعن به في الأصنام، فصارت تتساقط أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٦٧).

إن القرارات السليمة والحاسمة، من أبرز سمات الشخصية القوية، والإدارة الناجحة، والتذبذب في اتخاذ القرار مرض لا دواء له إلا العزم والحسم، وكل عمل خالطه التردد، أفقد صاحبه الأمل، وعرضه للخيبة والشكوك، والتقاعس والفشل، ورب قرار خاطئ عواقبه أهون من التردد.

الرقابة المستمرة:

ليست الإدارة في الإسلام مجردة من الأخلاق، فالمسلم حين يؤدي أعماله يستشعر معية الله عزوجل التي هي رأس الرقابة، فتستيقظ الرقابة الذاتية في نفسه وضميره، فيتقن عمله، ولا يهدر الوقت ولايتهاون عن القيام بواجباته، ولايعبث بحقوق الآخرين، إلا أن الناس ليسوا جميعا سواء، فمنهم الجاد المواظب على عمله، ومنهم من تغلبه نوازع نفسه، ويغريه الشيطان، فيلهو ويعبث، وهذا الصنف يحتاج إلى متابعة ومراقبة السلطة، وقد مارسها الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يكن يطلق أيدي عماله يتصرفون في

٦٧- سورة الإسراء، الآية: ٨١.

أمور الرعية كما يشاؤون، بل كان يحميهم من مطامع أنفسهم، ومغريات الحياة الدنيا، فيأمرهم بالابتعاد عن الشبهات ويحذرهم من مكائد الشيطان، ومخاطر الأهواء، ويتابع أعمالهم، ويحاسبهم على تقصيرهم حسابا دقيقا ويفتش عن مصادر ثرواتهم، ويعيد الأموال التي أعطيت لهم هدايا إلى بيت مال المسلمين، وقد "استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد ـ يقال له: ابن الأتبية ـ على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدي لي، قال: "فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه، فينظر يهدى له أم لا؟ والذي نفسي بيده لايأخذ أحد منه شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر(٦٨)، ثم رفع بيده حتى رأينا عفرة(٦٩) إبطيه، اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت ثلاثا"(٧٠).

وكان صلى الله عليه وسلم يتابع أخبار ولاته، ويستجيب لمطالب الرعية بعزلهم، إذا ما تبين له صدق الشكاية، فقد عزل العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين، لأن وفد عبد القيس شكاه، وولى بدلا منه أبان بن سعيد وأوصاه بعبد القيس خيرا، وإكرام سراتهم"(٧١).

وحذر صلى الله عليه وسلم الغاشين من عماله، وتوعدهم بأشد العقوبة، فقال: "ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم، إلا حرم الله عليه الجنة"(٧٢).

والغش بكل أنواعه حرام، سواء كان من الوالي، أو من التاجر، يقول الإمام ابن تيمية: "والغش يدخل في البيوع، بكتمان العيوب، وتدليس السلع، مثل أن يكون ظاهر المبيع خيرا من باطنه، كالذي مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر عليه، ويدخل في الصناعات مثل الذين يصنعون المطعومات من الخبز والطبخ، والعدس والشواء، وغير ذلك، أو يصنعون الملبوس كالنساجين والخياطين ونحوهم، أو يصنعون غير ذلك من الصناعات، فيجب نهيهم عن الغش والخيانة والكتمان"(٧٣).

٦٨- تيعر: أي تصوت. انظر: ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي، **غريب الحديث**، تحقيق: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٥١١.

٦٩- العفرة: "بياض ليس بالناصع ولكن كلون عفر الأرض وهو وجهها يقال: ما على عفر الأرض مثله، ومنه ظبى أعفر"، انظر: محمود بن عمر الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان، ج ٣، ص ٦.

٧٠- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الهبة، باب: من لم يقبل الهدية لعلة، ص ٤٢٠، رقم: ٢٥٩٧.

٧١- محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ٤، ص ٢٦٦- ٢٦٧.

٧٢- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، ص ١٢٣٠، رقم: ٧١٥١.

٧٣- ابن تيمية، **الحسبة** (ضمن **الفتاوى الكبرى**)، ج ٢٨، ص ٧٢.

وكان صلى الله عليه وسلم يراقب الأسواق عن كثب، ويتابع حركة البيع والشراء، وكل ما يتعلق بالتجارة، كي تتم هذه المعاملات في إطارها الصحيح، ويحصل الإنسان على حاجته سليمة من غير غش ولا خداع، ولأهمية الأمور التجارية، عين النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب مراقبا لسوق المدينة، وسعيد بن العاص على سوق مكة بعد فتحها، وكان صلى الله عليه وسلم ينزل بنفسه إلى السوق، ويأمر التجار بالصدق، ويحذرهم من الغش والتدليس فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني"(٧٤)، وفي رواية: "من غشنا فليس منا"(٧٥)، قال الإمام ابن تيمية: "فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الغاش ليس بداخل في مطلق اسم أهل الدين والإيمان... فسلبه حقيقة الإيمان التي بها يستحق حصول الثواب والنجاة من العقاب، وإن كان معه أصل الإيمان الذي يفارق به الكفار، ويخرج به من النار"(٧٦).

وهذا العمل الذي كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم، هو الأساس الذي قام عليه نظام الحسبة في الإسلام و"الحسبة هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله"(٧٧)، وهذا وإن كان يقوم به كل مسلم، إلا أن فرضه متعين على المحتسب، واشترطوا فيه شروطا أهمها: الحرية، والعدالة، وسداد الرأي والصرامة، والخشونة في الدين، والعلم بالمنكرات الظاهرة(٧٨)، وليس هذا موضع التفصيل في نظام الحسبة في الإسلام، فقد ألف العلماء كتبا مستقلة في الموضوع(٧٩)، وإنما الغرض من الحديث عن الحسبة، بيان الناحية الإدارية المحكمة في مراقبة السوق، لحماية الناس من احتكار التجار، وتلاعبهم بالأسعار، وغشهم في البيع والعقود المحرمة.

٧٤- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان، باب: من غشنا فليس منا، ص ٥٧-٥٨، رقم: ٢٨٤.

٧٥- المصدر السابق، ص ٥٧، رقم: ٢٨٣.

٧٦- ابن تيمية، **الحسبة** (ضمن **الفتاوى الكبرى**، ج ٢٨، ص ٧٢.

٧٧- أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، ص ٣١٥.

٧٨- انظر: المصدر السابق، ص ٣١٦.

٧٩- مثل: **الحسبة** لابن تيمية و**معالم القربة في طلب الحسبة** لضياء الدين محمد بن محمد و**نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة**، لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشيزري الطبري.

اختيار الأكفاء

إن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للوزراء والأمراء والولاة، كان اختيارا دقيقا، نابعا عن الملكة الإدارية التي يتمتع بها حيث يختار من أصحابه الأكفاء، فاختار أبابكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وزيرين له في حياته، وكانا ضجيعين له في مماته(٨٠).

"ولا شك أن حالهما كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعطي إلا ذلك، وبما وصلاه من هذه الرتبة العظيمة استخلفهما المسلمون بعده"(٨١).

وكان صلى الله عليه وسلم يضع كل واحد من أصحابه في مكانه المناسب، ويترفق به، ولايكلفه من الأعمال ما لايطيق، وحين سأله أبوذر أن يوليه قال له: "يا أباذر إنك ضعيف وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها"(٨٢)، مع أنه قال فيه: "ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر"(٨٣)، وهذا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم بتوسيد الأمر إلى أهله، فيختار من أصحابه أكثرهم صلاحية للمهمة التي يكلفون بها، وليس أشدهم تدينا.

يقول الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات، لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلا لها أو كان أهلا ولم يعدل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه، ويندم على ما فرط، وأما من كان أهلا للولاية وعدل فيها، فله فضل عظيم، تظاهرت به الأحاديث الصحيحة"(٨٤).

٨٠- انظر: محمد بن أحمد بن جزي المالكي، **القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية**، تحقيق: محمد سيدي محمد مولاي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ، ج ٣، ص ١١٩.

٨١- الشيخ عبد الحي الكتاني، **نظام الحكومة النبوية** المسمى **التراتيب الإدارية**، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ص١٧.

٨٢- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الإمارة، باب: كراهة الإمارة بغير ضرورة، ص ٨١٩، رقم: ٤٧١٩.

٨٣- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، كتاب الفتن والملاحم، ج ٤، ص٥٢٦، رقم: ٨٤٧٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وعلق عليه الذهبي في **التلخيص** بقوله: على شرط مسلم، وقال الشيخ الألباني: "صحيح"، انظر: **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ج ١، ص ١٠٤٨، رقم: ١٠٤٧٤، ورواه الترمذي، **السنن**، كتاب المناقب، باب مناقب أبي ذر، ص ٨٦٢، رقم: ٣٨٠١ وقال: حديث حسن.

٨٤- يحيى بن شرف بن مري النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ هـ، ج ١٢، ص ٢١٠- ٢١١.

ومع التحذير الشديد من الإمارة وخطورتها، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤمر الأكفاء من أصحابه، ولما جاءه عمرو بن العاص طالبا الإمارة ولّاه، وأمّر أسامة بن زيد على قوم، مع أنه لم يطلب الإمارة إلا أن بعض الناس طعنوا في إمارته، فقال صلى الله عليه وسلم: "إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله، لقد كان خليقا للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده"(٨٥).

وقد كان زيد بن حارثة من أكثر الصحابة الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم على الجند، فعن سلمة بن الأكوع قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، ومع زيد بن حارثة تسع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٨٦).

يقول الإمام ابن تيمية: "فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة: قدم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررا فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز، وإن كان أمينا"(٨٧).

وقد استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل خالد بن الوليد ووصفه بأنه "سيف من سيوف الله"(٨٨)، ومع ذلك حين أرسله إلى بني جذيمة فقتلهم، وأخذ أموالهم بنوع شبهة، أنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم فعله، ورفع يديه فقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"(٨٩)، ثم واداهم النبي صلى الله عليه وسلم وضمن أموالهم، ومع ذلك بقي يقدمه في إمارة الحرب، لأنه كان أصلح في هذا الباب من غيره، وفعل ما فعله بنوع تأويل"(٩٠).

٨٥- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المغازي، باب: غزوة زيد بن حارثة، ص ٧٢٠، رقم: ٤٢٥٠.

٨٦- علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ج ١٩، ص ٣٥٩.

٨٧- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٩هـ، ص ١٩.

٨٨- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب خالد بن الوليد، ص ٦٣٢، رقم: ٣٧٥٧.

٨٩- المصدر السابق، كتاب المغازي، باب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، ص٧٣٤-٧٣٥، رقم: ٤٣٣٨.

٩٠- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، ص ٢١.

"وكذلك كان يستعمل الرجل لمصلحة راجحة، مع أنه قد يكون مع الأمير من هو أفضل منه في العلم والإيمان"(٩١).

إن تقديم غير الأكفاء، وانتشار العمل بالمحاباة والوساطات، يؤدي إلى الضعف والعجز، والفساد وحدوث الاضطرابات، ويعيق تقدم المجتمع، ويضعه على حافة الهاوية، وقد حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا الفعل الشنيع، وعده من علامات الساعة، فقال: "إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"(٩٢).

ولايعني هذا أن يستسلم الناس للواقع المر، بل ينبغي لهم أن يعالجوا مظاهره المنحرفة، وأن يتحلوا بالصبر واليقظة، والمراقبة في كل شيء، وحتى من يؤم الناس في الصلاة، لابد أن يكون أهلا لذلك، وينال رضاهم، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أم قوما وهم له كارهون فإن صلاته لا تجاوز ترقوته"(٩٣).

تقسيم الأعمال

إن مبدأ تقسيم الأعمال، وتوزيع المسؤوليات، من المبادئ الأساسية في الإدارة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم الأعمال على أصحابه، ويختار لكل عمل الرجل المناسب، فهذا حذيفة بن اليمان كان أمين سر النبي صلى الله عليه وسلم، فعن خيثمة بن أبي سبرة قال: أتيت المدينة، فسألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا، فيسر لي أباهريرة فجلست إليه، فقلت له: إني سألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا، فوفقت لي، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، جئت ألتمس الخير وأطلبه، قال: أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة، وابن مسعود صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وبغلته، وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟"(٩٤).

٩١- المصدر السابق، ص ٢٢.

٩٢- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب العلم، باب: من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، ص١٤، رقم: ٥٩.

٩٣- سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م، باب الجيم، جنادة بن أبي أمية الزدي، ج ٢، ص ٢٨٢، رقم: ٢١٧٨، قال الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، **السلسلة الصحيحة**، ج ٥، ص ٤١٨، رقم: ٢٣٢٥.

٩٤- الترمذي، **الجامع**، أبواب المناقب، باب: مناقب عبد الله بن مسعود، ص ٨٦٤، رقم: ٣٨١١، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، قال الشيخ الألباني: "صحيح". انظر: **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٥، ص ٦٧٤، رقم: ٣٨١١.

وقال زيد بن وهب: كنا عند حذيفة فقال: "ما بقي من أصحاب هذه الآية[٩٥] إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تخبرونا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا، ويسرقون أعلاقنا، قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة: أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد، لما وجد برده"[٩٦].

وكان قيس بن سعد صاحب الشرطة، فعن أنس بن مالك قال: "إن قيس بن سعد كان يكون بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرط من الأمير"[٩٧]، وهناك مجموعة من الصحابة تقوم بمهمة حراسة النبي صلى الله عليه وسلم قبل عصمته[٩٨]، وأخرى تحرس المدينة ليلا[٩٩]، ومنهم من يقوم على تنفيذ أحكام الحدود[١٠٠]، وتولى عدد من الشعراء والخطباء جهاز الإعلام[١٠١]، يتقدمهم حسان بن ثابت، حيث كان يوضع له منبر في مؤخر المسجد، يقوم عليه قائما، يفاخر عن رسول الله

٩٥- الآية هي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾، سورة الممتحنة، الآية: ١، انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج ١، ص ٣١٣.

٩٦- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب تفسير القرآن، باب: فقاتلوا أئمة الكفر، ص ٧٩٩، رقم: ٤٦٥٨.

٩٧- المصدر السابق، كتاب الأحكام، باب: الحاكم يحكم بالقتل على من وجب عليه، ص ١٢٣١، رقم:٧١٥٥.

٩٨- منهم: سعد بن زيد الأنصاري، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعد بن معاذ، ومحمد بن مسلمة، وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنهم، انظر: محمد بن أبي بكر شمس الدين بن قيم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ج ١، ص ١٢٧.

٩٩- منهم: سعد بن أبي وقاص، وبديل بن ورقاء، وأوس بن ثابت، وأوس بن عرابة ورافع بن خديج رضي الله عنهم، انظر: أبو الحسن الخزاعي التلمساني، **تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٣٠٣.

١٠٠- منهم: علي بن أبي طالب، وعاصم بن ثابت، وبلال بن رباح الحبشي رضي الله عنهم، انظر: محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ١، ص ٢٨٨.

١٠١- منهم: كعب بن مالك، وثابت بن قيس رضي الله عنهما. انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٣، ص ٣٧، وانظر: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، **جوامع السيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٠٠م، ص ٢٨، وانظر: ابن قيم الجوزية، **زاد المعاد**، ج ١، ص ١٢٨.

صلى الله عليه وسلم أو ينافح عنه، يقول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما يفاخر أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١٠٢).

وعبد الله بن رواحة الذي دخل مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء، وكان يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل"(١٠٣).

واتخذ صلى الله عليه وسلم منزل رملة بنت الحارث الأنصارية رضي الله عنها بالمدينة المنورة، بيتا لضيافة الوفود القادمة عليه وكلف مجموعة من أصحابه بخدمة الضيوف"(١٠٤).

وكان كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم كثيرين، فلكتابة الوحي علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، فإن غابا كتب أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ولحوائجه صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وللميزانيات، والمعاملات بين الناس، المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير، وينوب عنهما خالد ومعاوية، إذا لم يحضرا، وكان عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عقبة، يكتبان ما بين القوم في قبائلهم ومياههم، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء، وحذيفة بن اليمان لكتابة خرص ثمار الحجاز، وزيد بن ثابت لكتابة رسائل الملوك، ومعيقيب بن أبي فاطمة لكتابة المغانم، وكان الزبير بن العوام وجهيم ابن الصلت يقومان بكتابة أموال الصدقات(١٠٥).

١٠٢- الترمذي، **الجامع**، أبواب الأدب، باب: إنشاد الشعر، قال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب، قال الشيخ الألباني: صحيح، انظر: **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، ص ٢٧٥، رقم: ٢٧٤٦.

١٠٣- الترمذي، **الجامع**، أبواب الأدب، باب: إنشاد الشعر، ص٦٤٠، رقم: ٢٨٤٧، قال أبوعيسى هذا حديث حسن صحيح غريب، وقال الشيخ الألباني: صحيح، انظر: **جامع الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٥، ص ١٣٩.

١٠٤- محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج ١، ص ٢٨٨.

١٠٥- انظر: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ط١، ج ٤، ص٢٤٣-٢٤٤.

وكلف صلى الله عليه وسلم مجموعة من الصحابة بجمع المعلومات والأخبار، ليكون على علم بالواقع، ويعرف عدوه ويقدر الأمور تقديرا صحيحا، ويقرر مايراه مناسبا(١٠٦).

وقد شكل النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأجهزة الإدارية لتنظيم الأعمال، وتسييرها على أحسن وجه، كي لاتتعطل مصالح الناس والدولة، ولايفاجأ بأي مكروه، لأي سبب من الأسباب.

طاعة المسؤول

إن طاعة المسؤولين من الواجبات الشرعية، والضرورية لحفظ النظام وتسيير الأعمال، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يختار الأكفاء من أصحابه، فيوليهم أمور المسلمين، ويوفر لهم الرواتب الكافية وجميع الحاجيات النفسية والمادية، فعن المستورد بن شداد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان لنا عاملا، فليكتسب زوجة فإن لم يكن له خادم، فليكتسب خادما، فإن لم يكن له مسكن، فليكتسب مسكنا"(١٠٧)، وقال صلى الله عليه وسلم: "من ولي لنا عملا ولم يكن له زوجة، فليتخذ زوجة، ومن لم يكن له خادم، فليتخذ له خادما، ومن لم يكن له مسكن فليتخذ له مسكنا، ومن لم يكن له دابة، فليتخذ دابة"(١٠٨)، وأمر الناس بطاعتهم فقال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"(١٠٩).

١٠٦- منهم: بسيسة بن عمرو الجهني، انظر: مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الإمارة، باب: ثبوت الجنة للشهيد، ص٨٥٠، رقم: ٤٩١٥، وعدي بن أبي الزغباء، انظر: محمد بن هشام، **السيرة النبوية**، ج ٣، ص ١٦١، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، انظر: محمد بن عمر الواقدي، **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج ١، ص ١٩، وبسر بن سفيان الخزاعي، انظر: يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج ١، ص ١٦٦، وعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، انظر: الواقدي، **المغازي**، ج ٣، ص ٨٩٣، وحذيفة ابن اليمان، انظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج ١، ص ٣٤٣-٣٣٥، ونعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنهم، انظر: ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، ج ٤، ص ١٥٠٨.

١٠٧- أبو داود، **السنن**، كتاب الخراج، باب في أرزاق العمال، ص ٤٢٨، رقم: ٢٩٤٥، قال الألباني: "صحيح"، انظر: الألباني، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي، ص ١١٤٤، رقم: ١١٤٣٢، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، انظر: الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب الزكاة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٥٦٣، رقم: ١٤٧٣.

١٠٨- الطبراني، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، باب الميم، مستورد بن شداد الفهري، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م، ج ٢٠، ص ٣٠٤، رقم: ١٧٤٨١. قال شعيب الأرنؤوط، حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة، انظر: **مسند الإمام أحمد**، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج٤، ص٢٢٩، رقم ١٨٠٤٦.

١٠٩- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلأَمْرِ مِنكُمْ﴾ سورة النساء، الآية: ٥٩، ص ١٢٢٨-١٢٢٩، رقم: ٧١٣٧.

قال الإمام الشافعي عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾(١١٠): "كل من كان حول مكة من العرب، لم يكن يعرف إمارة، وكانت تأنف أن يعطي بعضها بعضا طاعة الإمارة، فلما دانت لرسول الله بالطاعة، لم تكن ترى ذلك يصلح لغير رسول الله، فأمر أن أطيعوا أولي الأمر الذين أمرهم رسول الله، لا طاعة مطلقة، بل طاعة مستثناة فيما لهم وعليهم"(١١١).

وكان صلى الله عليه وسلم يحفظ للأمراء والولاة هيبتهم بين الناس، ويدافع عنهم، ولا يسمح للكلام فيهم بغير بينة، واتهامهم من غير دليل، فعن عوف بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "هل أنتم تاركون لي أمرائي، إنما مثلكم ومثلهم، كمثل رجل استرعى إبلا أو غنما، فرعاها، ثم تحين سقيها، فأوردها حوضا، فشرعت فيه، فشربت صفوه، وتركت كدره، فصفوه لكم، وكدره عليهم"(١١٢).

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم للإمام العادل مكانة رفيعة عند الله تعالى فقال: "سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل..."(١١٣).

تيسير المعاملات

إن علاقة الفرد بالمؤسسات الإدارية في واقعنا الاجتماعي، فيها معاناة كثيرة، حيث إن الالتزام بقوانين الإدارة، يؤدي في الغالب إلى تأخير المعاملات، لأن الذاتية في مؤسساتنا الإدارية، مقدمة على النظم الإدارية والموظف أكبر من النظام، وهو حين ينجز المعاملة، لايشعر بأنه قام بواجبه، بل يشعر صاحب المعاملة بالمن والتفضل عليه، وهذا ما أدى إلى سلوكيات منحرفة، وتفشي ظاهرة الواسطة التي صارت سمة بارزة في ثقافتنا، حيث يضطر صاحب المعاملة، لينفق وقتا طويلا، ومالا كثيرا، وجهدا كبيرا، في السعي لإقامة علاقات، تسهم في إنجاز معاملته التي لاتشوبها شائبة، بينما الإنسان الغربي لايستطيع أن ينال حقه وينجز معاملته، إلا إذا التزم بالقانون والنظام الإداري، وهذا من أهم العوامل التي ساهمت إلى حد كبير في تطوير المجتمع الغربي وتقدمه، حيث أصبح الفرد فيه بإمكانه أن يجري كل معاملاته إلكترونيا عن طريق شبكة (الإنترنت)، من غير مراجعة الجهة المعنية شخصيا، واكتفى ببطاقة خفيفة في جيبه، ينجز بها كل معاملاته.

١١٠- سورة النساء، الآية: ٥٩.

١١١- محمد بن إدريس الشافعي، **الرسالة**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، ص ٨٠.

١١٢- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب: استحقاق القاتل سلب القتيل، ص ٧٧٦، رقم: ٤٥٧٠.

١١٣- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب فضل من ترك الفواحش، ص ١١٧٣، رقم: ٦٨٠٦.

إن نظمنا الإدارية بحاجة ماسة إلى العمل بمبدأ التيسير، وتسريع الاستفادة من التقنيات الحديثة، في تنفيذ الخدمات الإلكترونية، وإحداث تغييرات جذرية في علاقة الفرد بالمؤسسات، ليستمتع الفرد بحقوقه ويتنفس الصعداء، ويتخلص من حمل الملفات، ومتاعب التنقل والوساطات، والاصطفاف الطويل أمام المكاتب، وإهدار الوقت والمال والجهد، والضغوطات النفسية، ويستريح من ضيق العالم الثالث.

ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم ولاته، من استخدام سلطتهم في التضييق على الناس، والإضرار بمصالحهم وحملهم على ما يشق عليهم، ودعاهم إلى اللين، والشفقة عليهم، والرفق بهم، والإحسان إليهم، وأما إن شقوا على غيرهم، فسوف تحصل لهم المشقة من الله عز وجل، لأن الجزاء من جنس العمل، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا، فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا، فرفق بهم، فارفق به"(١١٤).

وهذا دعاء على كل من تولى مسؤولية في الأمور العامة والخاصة، فكلمة "شيئًا" نكرة في سياق الشرط، وهي تفيد العموم، وهذا يقع على الأمراء، والولاة، وأرباب البيوت، وأئمة المساجد، والأساتذة ومدراء المدارس، والجامعات، والمؤسسات، وكل من تولى مسؤولية أي موقع من مواقع الحياة، صغيرا كان أو كبيرا، فعطل معاملات الناس، أو أخرها، أو أتلفها، أو وضع العراقيل في طريقها، بأي شكل من الأشكال، وهو قادر على إنجازها في وقتها، فإن الحديث يشمله، والمشقة تلحقه في نفسه، أو في صحته، أو في ماله، أو في أهله، أو تسليط غيره عليه، أو في أي أمر من الأمور التي تتعلق به، في الدنيا والآخرة، إلا إذا قام بما ينبغي له، ورفق بغيره، والرفق المطلوب ليس معناه أن يكون كما يشتهي الناس ويرغبون، بل أن يعاملوا بما ليس فيه مخالفة شرعية، وأن يلتزم بالنظم، واللوائح الإدارية، بعيدا عن التقاعس والابتزاز والأهواء، والمطامع الشخصية، وعلى أرباب الإدارة أن يراعوا أثناء التنظير، والتقنين الإداري، أهمية الوقت وسرعة الإنجاز، وتسهيل المعاملات، فالإدارة الناجحة هي التي تكون في خدمة المجتمع، بأفضل الوسائل وأيسر السبل.

سرعة الإنجاز

بذل الرسول صلى الله عليه وسلم جهدا كبيرا في نشر الإسلام، وتحمل المشاق التي تنوء دونها الجبال، لا ينقطع عن العمل، ولا يعرف الكلل والملل، يصل الليل بالنهار، ولا يطلب الراحة، ولا ينام

١١٤- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ص ٨١٩ - ٨٢٠، رقم: ٤٧٢٢.

إلا قليلا، امتثالا لله عزوجل الذي خاطبه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾(١١٥).

وقد حمل النبي صلى الله عليه وسلم نفسه في تبليغ الدعوة، فوق ما تطيق، حتى كادت روحه أن تزهق من شدة حرصه على هداية الناس، فقال تعالى مسليا له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾(١١٦)، ثم أمره الله تعالى بأن ييسر على نفسه، ولا يكلفها تكليفا شاقا، فقال عزّ وجل: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾(١١٧)، ثم بين له أنه مكلف بالتبليغ فقط، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾(١١٨).

وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم ينجز أعماله بسرعة فائقة، طاويا مسافة الزمن، وكم من أعمال كانت ستأخذ وقتا طويلا لإنجازها، إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينجزها في وقت قليل، وبجهد يسير، والشواهد على ذلك كثيرة منها:

١- بناء مسجد المدينة

لم يمض أسبوعان على وصول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، حتى بدأ يبحث عن أرض لبناء المسجد، ولما وجدها أمر بتسويتها وقطع نخيلها، ثم بدأ الصحابة رضوان الله عليهم يعملون بهمة عالية، وينقلون الحجارة لبنة لبنة، وعمار بن ياسر ينقل لبنتين في كل مرة، فمر به النبي صلى الله عليه وسلم، ومسح عن رأسه الغبار(١١٩) وقال: يا عمار، ألا تحمل لبنة لبنة كما يحمل أصحابك؟ قال: إني أريد الأجر عند الله، قال: فجعل ينفض ويقول: ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، قال: ويقول عمار: أعوذ بالله من الفتن"(١٢٠).

١١٥- سورة المزمل، الآيات: ١-٥.

١١٦- سورة الكهف، الآية: ٧.

١١٧- سورة فاطر، الآية: ٨.

١١٨- سورة الرعد، الآية: ٤٠.

١١٩- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، ص ٤٦٦، رقم: ٢٨١٢.

١٢٠- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، كتاب قتال أهل البغي، ج ٢، ص ١٦٢، رقم: ٢٦٥٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذه السياقة. وتعليق الذهبي في **التلخيص**: على شرط البخاري.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أثناء بناء المسجد، يسلون أنفسهم بأبيات من الشعر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشاركهم نقل الحجارة قائلا:

هذا الحمال لا حمال خيبر هـذا أبـر ربنـا وأطهـر

ويقول أيضًا: اللهم إن الأجر أجر الآخره فارحم الأنصار والمهاجره"(١٢١).

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اليمامة، فأعجب بمهارته في تجهيز الطين، وقال لأصحابه: "قدموا اليمامي من الطين، فإنه من أحسنكم له مسا"(١٢٢).

وفي فترة وجيزة، لم تتجاوز اثني عشر يوما، تمكن النبي صلى الله عليه وسلم من بناء المسجد، واجتمع المسلمون فيه للعبادة، وصار منارة للتعليم، وموضعا لإدارة شؤون الرعية والدولة.

٢- إعداد السرايا والبعثات التعليمية

جهز الرسول صلى الله عليه وسلم في فترة وجيزة، ما يقارب سبعين سرية(١٢٣)، وأرسلها إلى المناطق المحيطة بالمدينة وغيرها، للاستطلاع، والتمويه، وجمع المعلومات، واعتراض القوافل القريشية، وتأديب بعض المعتدين والإشعار بالوجود الإسلامي، وحماية الدعوة، وتأمين انتشارها، وتدريب جند الإسلام، على القيادة والقتال.

وكانت هذه السرايا تتحرك في جميع الاتجاهات، فتقطع في بضعة أيام المسافات الطويلة التي كانوا لا يقطعونها إلا في شهر، وتظهر وتختفي في أرض الأعداء كالبرق الخاطف، وتنجز مهامها في وقت وجيز تاركة العدو مضطربا مرعوبا.

وفي السنة السادسة للهجرة، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رهط من الأعراب، بهم هزال شديد من الجوع فأسلموا، وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم المأوى والطعام، فأنزلهم في الصفة(١٢٤) وأكرمهم، فلم توافقهم المدينة فسقمت أجسامهم، فشكوا ما أصابهم إلى رسول الله صلى الله

١٢١- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المناقب، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، ص ٦٥٨-٦٥٩، رقم: ٣٩٠٦.

١٢٢- محمد بن حبان، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، مؤسسة الرسالة، كتاب الطهارة، باب نواقض الوضوء، ج ٣، ص ٤٠٤.

١٢٣- ابن حجر، **فتح الباري**، ج ٨، ص ١٥٤.

١٢٤- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد (تعليقا)، ص ٧٦، رقم: ٥٨.

عليه وسلم، فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة، فيشربوا من ألبانها وأبوالها "فأتوها، فشربوا من ألبانها وأبوالها، حتى صحوا وسمنوا، وقتلوا الراعي، واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم"(١٢٥).

فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بفعلتهم، أسرع في تجهيز سرية تعقبية، من عشرين شابا من الأنصار، وزودهم بقائف(١٢٦) اختصارا للجهد والوقت، وبعثهم في إثرهم، فأنجزت السرية مهمتها بسرعة كبيرة، فقبل أن ينقضي النهار تم القبض عليهم، وجيء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٢٧)، قال أنس بن مالك: "فأتى النبي صلى الله عليه وسلم الصريخ، فبعث الطلب في آثارهم، فما ترجل النهار حتى أتي بهم"(١٢٨).

وجاء وفد من قبائل رعل وذكوان وعصية وبني لحيان، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، طالبين منه معلمين يفقهونهم في الدين، ويعينونهم على المشركين، فقام النبي صلى الله عليه وسلم بتجهيز بعثة تعليمية، بسرعة عالية، وكان قوامها سبعين معلما من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم، وكانوا يسمون بالقراء، "فعرضوا لهم، فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا"(١٢٩).

ولما غدر الأعراب بالبعثات التعليمية في الرجيع، وبئر معونة(١٣٠)، وتجرؤوا على المسلمين، باغتهم النبي صلى الله عليه وسلم بسرايا لتأديبهم وردعهم، قبل أن يحتشدوا ويجمعوا أمرهم.

٣- حفر الخندق

كانت ظروف المسلمين في غزوة الأحزاب صعبة للغاية، فلقد كان البرد قارصا، والرياح شديدة، والجوع قد عمل فيهم عمله، والعدو يتوقع وصوله في أي لحظة، وقد وصف الله تعالى هذا الموقف

١٢٥- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق، ص٤٩٨، رقم: ٣٠١٨.

١٢٦- القائف: هو الذي يقوف الآثار ويتتبعها، انظر: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ، ج ١، ص ٧٠٠.

١٢٧- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب حكم المحاربين والمرتدين، ص٧٣٧، رقم: ٤٣٥٨.

١٢٨- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب لم يسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا، ص ١١٧٢، رقم: ٦٨٠٤.

١٢٩- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، ص ٨٥١، رقم: ٤٩١٧.

١٣٠- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، ص ٦٩١، رقم: ٤٠٨٦.

فقال: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾(١٣١).

وفي هذا الكرب العظيم، والهول الشديد الذي ملأ القلوب خوفا وفزعا، ولم ينج منه أحد، كان لابد من حفر خندق طوله خمسة آلاف ذراع، وعرضه تسعة أذرع، وعمقه يقارب عشرة أذرع.

ورغم هذه الظروف الصعبة، كان النبي صلى الله عليه وسلم يشارك أصحابه في حفر الخندق، ولا يتميز عنهم، فينقل التراب على ظهره، ويرفع من معنوياتهم، ويقوي عزائمهم، ويجدد النشاط في نفوسهم، ويزرع فيهم الأمل، فعن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عوف: وأحسبه قال: وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المعول فقال: بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال: بسم الله، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ثم قال: بسم الله، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا"(١٣٢).

وقد أنجزوا هذه المهمة الشاقة، في مدة قياسية، لم تتجاوز ستة أيام، وهذا الإنجاز العظيم، والنجاح الباهر، يرجع فضله لحسن إدارته صلى الله عليه وسلم، وتدبيره الحكيم.

٤- تأسيس الدولة

في مدة لم تتجاوز ثلاث وعشرين سنة، استطاع النبي صلى الله عليه وسلم خلالها أن يقيم دولة بجميع أجهزتها، ويعد المسلمين بعده لقتال فارس والروم، أعظم أمبرطوريات العالم في ذلك العصر، وسرعة هذا الإنجاز العظيم لامثيل له في تاريخ البشرية.

١٣١- سورة الأحزاب، الآية: ١٠-١١.

١٣٢- الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، (مسند الكوفيين)، حديث البراء بن عازب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٩م، ج ٣٠، ص ٦٢٦، رقم: ١٨٦٩٤، قال ابن حجر: إسناده حسن، انظر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ٧، ص ٣٩٧.

إعداد البدائل

من مزايا الإسلام أنه يقدم البديل عن كل شيء يمنعه، فحين حرم الربا أحل البيع، وما الرخص والكفارات والمباحات، والتوبة والعفو، إلا صورة للبدائل المشروعة، بل إن إيجاد البديل امتد حتى للكلمات التي يستعملها الإنسان، فقد كان اليهود يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم "راعنا" استهزاء وسخرية، فنهى الله تعالى المؤمنين عن استعمال كلمة "راعنا"، واستبدلها بكلمة "انظرنا"، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١٣٣).

ولقد كانت البدائل دوما جاهزة عند النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك مواقف كثيرة جدا تظهر كيف كان يقدم فيها البديل، فحينما رأى صدود الكفار عن دعوته، وتماديهم في التنكيل بالمؤمنين، أوجد بديلا جديدا للاستمرار في المواجهة بلا قتال، فأذن لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، ومواصلة دعوتهم بالطرق السلمية.

وكان أهل المدينة قد خصوا في الجاهلية يومين من السنة يلعبون فيهما، فأبطلهما النبي صلى الله عليه وسلم وأرشدهم إلى البديل في الترويح عن النفس بالمباح، فعن أنس قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: "ما هذان اليومان"؟، قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما، يوم الأضحى، ويوم الفطر"(١٣٤).

وعين الرسول صلى الله عليه وسلم حنظلة بن الربيع، بديلا لكل كاتب إذا غاب عن عمله، حتى سمي حنظلة الكاتب، وكان يضع عنده خاتمه(١٣٥).

وكان لا يكتفي بإعداد بديل واحد فقط، وإنما يعد للأمر الواحد بدائل كثيرة، كما حدث في غزوة مؤتة حيث عين أميرا للجيش، وخليفة للأمير، وخليفة للأمير الثاني، للحفاظ على وحدة الجيش وتماسكه، والتزام النظام، وتجنب مشكلات المفاجأة.

١٣٣- سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

١٣٤- أبو داود، **السنن**، كتاب الصلاة، باب صلاة العيدين، ص ١٧٠، رقم: ١١٣٤، قال الشيخ الألباني: "إسناده صحيح على شرط مسلم، وكذا قال الحاكم، ووافقه الذهبي"، انظر: محمد ناصر الدين الألباني، **صحيح أبي داود**، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ٢٠٠٢م، ج ٤، ص ٢٩٧.

١٣٥- أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ج ٤، ص ٢٤٣- ٢٤٤.

طلاقة الوجه والتبسط

إن إنجاز الأعمال يحتاج إلى عزم وحزم، لكنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن الناس مهما كانوا مطيعين، فإن نفوسهم تكل وتمل، وتكون بحاجة للراحة والتبسط، للتخفيف من عناء العمل، لذا عد استقبال الناس بوجه طلق والتبسط إليهم وإدخال السرور عليهم من الأعمال التي يؤجر عليها الإنسان، فقال صلى الله عليه وسلم: "تبسمك في وجه أخيك صدقة"(١٣٦)، وقال: "لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق"(١٣٧)، وعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرن من المعروف شيئًا، فإن لم تجد فلاين الناس ووجهك إليهم منبسط"(١٣٨)، وقال: "أحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم"(١٣٩).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل التراب، ليروح عن نفوس أصحابه، رغم تلك الظروف الحالكة التي واجهتهم في غزوة الأحزاب، فعن البراء بن عازب قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، وهو ينقل التراب، حتى وارى التراب شعر صدره وكان رجلا كثير الشعر وهو يرتجز برجز عبد الله بن رواحة:

١٣٦- ابن حبان، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، كتاب البر والإحسان، باب الجار، ج ٢، ص ٢٨٦، رقم: ٥٢٩، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح. ورواه الترمذي، **الجامع**، أبواب البر والصلة، باب صنائع المعروف، ج ٤، ص ٣٣٩، رقم: ١٩٥٦، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

١٣٧- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب البر والصلة والأدب، باب استحباب طلاقة الوجه، ص١١٤٥، رقم: ٦٦٩٠.

١٣٨- ابن حبان، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، ج ٢، ص ٢١٤، رقم: ٤٦٨، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

١٣٩- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، **المعجم الصغير**، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط١، ١٩٨٥م، باب الميم، ج ٢، ص ١٠٦، رقم: ٨٦١، وقال: "لم يروه عن عمرو ابن دينار إلا سكين ويقال: ابن أبي سراج البصري تفرد به عبد الرحمن بن قيس الضبي ضعيف"، وقال نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: "رواه الطبراني في الثلاثة وفيه سكين بن سراج وهو ضعيف"، انظر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ج ٨، ص ٣٤٩. وقال الشيخ الألباني: "قد جاء بإسناد خير من هذا، فرواه ابن أبي الدنيا في **قضاء الحوائج**، ص٨٠، رقم: ٣٦ وأبو إسحاق المزكي في **الفوائد المنتخبة**، ج ١، ص ١٤٧، رقم: ٢، ببعضه، وابن عساكر، ج ١١، ص ٤٤٤، رقم: ١، من طرق عن بكر بن خنيس عن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: "كذا قال ابن أبي الدنيا، وقال الآخران: عن عبد الله بن عمر، قال: قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إلى الله؟..." وفيه الزيادة. قلت: وهذا إسناد حسن، فإن بكر بن خنيس صدوق له أغلاط كما قال الحافظ: وعبد الله بن دينار ثقة من رجال الشيخين. فثبت الحديث والحمد لله تعالى: انظر: **السلسلة الصحيحة**، ج ٢، ص ٦٩٨.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته"(١٤٠).

وعن أنس قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم ويقولون:

نحن الذين بايعوا محمدا على الإسلام ما بقينا أبدا

والنبي يجيبهم ويقول: "اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة، فبارك في الأنصار والمهاجرة"(١٤١).

وقد كان لهذا التبسط أثر كبير في نفوس الصحابة، حيث خفف من معاناتهم، وجدد فيهم الهمة والنشاط، وأنجزوا العمل الكبير الذي كلفوا به، قبل أن تصل إليهم جيوش الأحزاب.

استيعاب المشكلات

حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، واجهته تحديات كبيرة، ومشكلات كثيرة، بعضها قديم، وبعضها نتيجة لتزايد أعداد المهاجرين، فهناك مشكلة الأوبئة، ومشكلة البطالة والسكن والزواج وغيرها، قالت عائشة رضي الله عنها: "قدمنا المدينة، وهي أوبأ أرض الله، قالت: فكان بطحان(١٤٢) يجري نجلا(١٤٣)"، تعني ماء آجنا"(١٤٤)، فمرض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصابتهم حمى شديدة، قالت عائشة رضي الله عنها: "لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وعك أبوبكر وبلال، فكان أبوبكر إذا أخذته الحمى يقول:

١٤٠- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب الجهاد والسير، باب: الرجز في الحرب، ص ٥٠١، رقم: ٣٠٣٤.

١٤١- المصدر السابق، كتاب الجهاد والسير، باب: حفر الخندق، ص ٤٧٠، رقم: ٢٨٣٥.

١٤٢- بطحان: واد بالمدينة، انظر: محمد بن أبي نصر الحميدي، **تفسير غريب ما في الصحيحين البخارى ومسلم**، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢٦٣.

١٤٣- النجل: الماء القليل الذي ينز نزًا، واستنجل الوادي إذا ظهرت نزوزه، والنجل الولد، انظر: ابن الجوزي عبدالرحمن ابن علي، **غريب الحديث**، عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٣٩٥، أجن الماء يأجن أجونا، إذا تغير غير أنه شروب، انظر: حمد بن محمد الخطابي البستي، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ، ج ٢، ص ٢٤٢.

١٤٤- البخاري، **الجامع الصحيح، كتاب فضائل المدينة**، باب (١٢)، ص ٣٠٣، رقم: ١٨٨٩.

كل امـرئ مصبـح فـي أهلــه والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحـولـي إذخـر وجليل

وهـل أردن يومــا ميــاه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل"(١٤٥).

وانتشرت الحمى بين الناس، وخاصة بين المهاجرين الذين لم يتأقلموا مع المناخ الجديد، حتى عجزوا عن أداء الصلاة قياما، فعن أنس بن مالك قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي محمة، فحم الناس فدخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد والناس قعود يصلون فقال: "صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم" قال: "فتجشم الناس الصلاة قياما"(١٤٦)، وقد عالج النبي صلى الله عليه وسلم هذه المشكلة الصحية بالأخذ بالأسباب المعنوية والمادية، حيث تضرع إلى الله تعالى بالدعاء، فقال: "اللهم حبب إلينا المدينة، كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها، فاجعلها بالجحفة"(١٤٧)، ثم قام بحملة شديدة ضد القذارة التي هي منبع أغلب الأمراض، وأكد للمسلمين على وجوب الحرص على النظافة في كل شيء، والطهارة عند المؤمن مسألة عقدية، قال صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان"(١٤٨)، وفي مدة قصيرة، تعافى المسلمون، وبعد أن كان وادي بطحان آسنا ملوثا، أصبح ماؤه عذبا نظيفا.

وعالج صلى الله عليه وسلم مشكلة البطالة بنظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فعن أبي هريرة قال: قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: "لا"، فقالوا: تكفوننا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا: سمعنا وأطعنا"(١٤٩).

ورأى صلى الله عليه وسلم أن مصادر القوة في المدينة بيد اليهود، فهم يملكون السلطة الاقتصادية، والتفوق العلمي والخبرة بفنون الحرب، وتكمن سلطتهم الاقتصادية في السيطرة على السوق التجارية،

١٤٥- المصدر السابق.

١٤٦- أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي، **مسند أبي يعلى**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٨٤م، ج ٦، ص ٢٧٥، رقم: ٣٥٨٣، قال حسين سليم أسد: رجاله رجال الصحيح.

١٤٧- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب فضائل المدينة، باب (١٢)، ص ٣٠٣، رقم: ١٨٨٩.

١٤٨- مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب الطهارة، باب: فضل الوضوء، ص ١١٤، رقم: ٥٣٤.

١٤٩- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب المزارعة، باب: إذا قال اكفني مؤونة النخل أو غيره وتشركني في الثمر، ص٣٧٣، رقم: ٢٣٢٥.

والتحكم في الأسعار واحتكار السلع، واستغلال حاجات الناس، والتعامل بالربا، فهذا عبد الرحمن بن عوف يسأل سعد بن الربيع: أين سوقك؟ فدلوه على سوق بني قينقاع"(١٥٠)، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن أقام غرب المدينة سوقا خاصة بالمسلمين، يتحررون فيها من السيطرة اليهودية، ويلتزمون فيها بتعاليم الإسلام، وقد غاض ذلك اليهود، وأدركوا أن مصادر القوة بدأت تتحول إلى المسلمين. وعالج صلى الله عليه وسلم أزمة السكن ببناء دار الصفة لفقراء المهاجرين، وقد فرضت الزكاة، وزكاة الفطر في السنتين الأوليتين من الهجرة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإنفاق في سبيل الله تعالى، ومساعدة الفقراء والمحتاجين.

وآلم اليهود أن رأوا الأوس والخزرج الذين كانوا بالأمس القريب أعداء متناحرين فأصبحوا بالإسلام كالجسد الواحد متحابين مترابطين، والحساد الحاقدون لا يتورعون عن استخدام أي وسيلة لتحقيق أغراضهم، لذلك لا نستغرب حين يلجأ اليهود لإثارة الفتن الداخلية، وإحياء النعرات الجاهلية، للوقيعة بين المسلمين، سعيا لاحتكار السلطة والمال، فيكونون هم الخصم والحكم، وتنتعش تجارتهم، ويبسطون سلطتهم على السوق، ويكون الناس تحت سيطرتهم، وقد دبر شيخ يهودي حيلة يكسر بها وحدة الأنصار، ويفرق بينهم، ويعيدهم إلى ماكانوا عليه من تمزق وعداوة وقتال، حيث أرسل فتى يهوديا ينشدهم أشعارا قيلت في يوم بعاث الذي كان يوم قتال بين الأوس والخزرج فثارت نعرة الجاهلية في نفوس القوم، وتواعدوا في الظاهرة، وتنادوا: السلاح السلاح، وكادت المؤامرة أن تنجح لولا الرحمة التي تداركتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ما إن بلغه الأمر حتى سارع بالخروج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين، وخطب فيهم قائلا: "يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم؟"(١٥١).

١٥٠- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب مناقب الأنصار، باب: إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، ص٦٣٥، رقم: ٣٧٨٠.

١٥١- عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ، ج ٣، ص ٩٤، قال ابن حجر العسقلاني: "إسناده مرسل وفيه راو مبهم أخرجه أبو عمر"، انظر: ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج ١، ص ١٥٩، والرواية أخرجها البخاري بلفظ آخر جاء فيه: "كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى الجاهلية"، انظر: البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب التفسير، باب: سواء عليهم أستغفرت لهم، ص ٨٧٠-٨٧١، رقم: ٤٩٠٥، وأخرجها مسلم، **الجامع الصحيح**، كتاب البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما، ص ١١٣٠، رقم: ٦٥٨٢.

فهذه الواقعة تبين مدى استيعاب النبي صلى الله عليه وسلم للمشكلة، من خلال فزعه وهرعه لإنقاذ القوم من حرب وشيكة تعيدهم إلى جاهليتهم، ويريقون فيها دماء بعضهم، فوعظهم وذكرهم بنعمة الإسلام الذي أصبحوا به إخوانا، فانتبه القوم إلى ما وقعوا فيه، وأدركوا أنهم قد أخطأوا، فلانت نفوسهم، وسالت دموعهم وثابوا إلى رشدهم، وعرفوا أن الشيطان قد نزغ بينهم، وأن عدوهم من كاد لهم، وندموا على ما فعلوا، وتعانقوا إخوة في الله متحابين، وباء المخطط الذي استدرجهم للهلاك بالفشل، وانطفأت نار الفتنة التي كادت أن تحرقهم، يقول الشيخ الشعراوي: "لقد ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشياء هي: "أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وقد أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألف بين قلوبكم"، وقد استقبلوا ذلك بإلقاء السلاح أولا، ثم البكاء ثانيا، وهو أمر حركته المواجيد فيهم، ثم تعانقوا، أي: صححوا الإدراكات ثالثا وهكذا حدث النزوع بالعكس، ولما حدث ذلك أصاب اليهود الغيظ والخيبة والنكد"(١٥٢).

وفي هذه الحادثة نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(١٥٣).

وخاصم الزبير رجلا من الأنصار في شريج(١٥٤) من الحرة(١٥٥)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك"، فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك، فتلون

١٥٢- الشيخ محمد متولي الشعراوي، **تفسير القرآن**، الشاملة، ج ١، ص ١١٠٩.

١٥٣- سورة آل عمران، الآيات: ١٠٠- ١٠٥.

١٥٤- الشريج: مجرى الماء من المرتفع إلى السهل والجمع شراج، انظر: محمود بن عمر الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط٢، ج ٢، ص ٢٣٣.

١٥٥- الحرة: الأرض الصلبة الغليظة ذات الحجارة السوداء وجمعها حرات وحرار وأحرون، انظر: ابن الجوزي، **غريب الحديث**، ج ١، ص ٢٠١.

وجهه ثم قال: اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك"(١٥٦)، واستوعى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك(١٥٧) ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾(١٥٨).

وبهذا المنهج استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينشئ في تلك البيئة الفوضوية، نظاما دقيقا محكما، وأن يجعل أهلها يلتزمون به، وينجزوا أعمالا عظيمة، تفوقت على الفرس والروم أعرق الدول في التاريخ قوة وتنظيما وإدارة، وقد صارت هذه الملكة الإدارية معلما من معالم شخصيته المتميزة، صلوات ربي وسلامه عليه.

Administrative Genius of the Prophet (pbuh)

This paper highlights the extraordinary traits and exceptional qualities of leadership and management that characterized the Prophet's personality. According to the writer, the Prophet (pbuh) was not only endowed with an exceptional gift for management of human and other resources but he also had profoundest ability to assess, predict and plan challenging tasks in war and peace conditions. Moreover, he had the most superb ability to recognize peculiar personality traits of different individuals and assigned tasks accordingly. He delegated responsibility to those who were most competent for the task at hand. He planned things well in advance and consulted those of his Companions who qualified for it. He also displayed remarkable ability to assess and estimate the strength and weakness of his opponents in encountering them with successful strategic and tactical moves. The writer has marshalled relevant material from the sources of *ḥadīth* and *sīrah* to substantiate these traits that establish the Prophet's exceptional administrative genius.

****

١٥٦- البخاري، **الجامع الصحيح**، كتاب التفسير، باب: سورة النساء، ص ٧٨٣، رقم: ٤٥٨٥.

١٥٧- المصدر السابق.

١٥٨- سورة النساء، الآية: ٦٥ .